

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجبالي بونعامة -خميس مليانة-
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإجتماعية

المقياس : مدخل إلى الأنثربولوجيا.
طلبة السنة الأولى تكوين أساسي علوم إجتماعية.
المجموعة الثانية.
أستاذة المقياس: الدكتورة بن زرع لمياء.

المحاضرة التاسعة:

الدراسات الانثربولوجية في الجزائر المستعمرة.

تمهيد:

الانثربولوجيا ليست علما استعماريًا، كلها ودوماً وأبدًا، فهي تدرس الإنسان كيفما كان وأينما وجد، اهتمت بالإنسان الجزائري كما بالإنسان الفرنسي والأمريكي والاسترالي والمغربي والانكليزي، موضوعها الإنسان وقضايا المعيشة، كما أنها لم تبقى حبيسة تلك الرؤية الضيقة التي حاولت أن تحاصرها وتسجنها حين جعلت منها علماً خاصاً بالمجتمعات البدائية والمتخلفة والمتوحشة، تحررت من هذه الرؤية واتسع مجال نشاطها لتشمل مجتمعات أكثر تقدماً ورقياً وحضارياً.

- اقتران علم الانثربولوجيا بالتوجه الكولونيالي الاستعماري:

إن فكرة اقتران الانثربولوجيا بالتوجه الاستعماري تعد من ضمن العوامل الأساسية التي أسهمت في تأخر اعتماد الانثربولوجيا كتخصص علمي ضمن المنظومة التعليمية في الجامعة الجزائرية، إذ أن من المفارقات الأساسية التي يمكن تسجيلها ضمن هذا السياق هو وجود تشابك وتقاطع بين اهتمامات الدراسة الانثربولوجية من جهة والأهداف الاستعمارية من جهة أخرى، لكون إحدى أساسيات "البحث الانثربولوجي" تكمن في دراسة الآخر، أو ما يعرف بالبحث في الغيرية، إذا مع سيادة النزعة التطورية في تفسير الظواهر خلال نشأة الانثربولوجيا، استقر لدى الأوروبيين أن الحضارة البشرية كلها تتطور حسب نظم وقواعد ثابتة وموحدة لا تتغير باختلاف المكان والزمان.

ولقد ارتبطت الانثربولوجيا في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية بالتوجه "الكولونيالي" من خلال الدراسات الانثربولوجية التي قام بها عدد من الإداريين والضباط العسكريين ورجال الدين والانثربولوجيين المدفوعين من قبل الإدارة الاستعمارية بهدف التعرف أكثر على الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، وتسليط الضوء على عاداته،

وتقاليد وأعرافه، الأمر الذي ساعدها على تكوين حكمها الاستعماري طيلة هذه الفترة، كما ارتبطت الانثربولوجيا الاستعمارية في تناولها للمجتمع الجزائري بأهداف وخطط الاستعمار الفرنسي الرامية إلى سلب الأمة الجزائرية هويتها وأحكام السيطرة عليها.

1- الانثربولوجيا والمنظومة الكولونيالية:

تعد الانثربولوجيا حقولا دراسية اجتماعية تاريخية وثقافية تمثل كل التماثلات المعيشة الفعلية منها والمرجوة لدى الجماعات، والتي يعبر عنها بطريقة شفوية أو سلوكية والدراسة الانثربولوجية لأي شعب من الشعوب لا تعد قفزة في نزاع متقطع ولا حرباً وراء سراب معرفي يشكل تصوراً عشوائياً يرتطم بجدران معارف أخرى محيطة به وأحيانا بنفسه، وهي أن الملاحظ على كثير من الدراسات الانثربولوجية التي اتخذت من الجزائر حقلاً دراسياً لها أنها لم تخرج في إطارها العام عن مرجعية استشراقية نظرا لأنها في كثير من الأحيان كتكوين مقدس ومنظومة ايديولوجية وسوسيوقرافية توخت تقديم نماذج ثقافية ومعرفية للأناسة الجزائرية وتقديمها بوجه جاف، مشوهة سلسلة رباطاتها الوجودية التاريخية والثقافية، عابثة بوحدة جذورها التاريخية العميقة في شكل لا يستند إلى تأسيس علمي.

1- البدايات الأولى للكتابات الحقلية في انثربولوجيا الجزائر:

بعد اكتشاف العالم الجديد وقع نوع من الغرابة أثناء دراسة الشعوب المسماة بشعوب العالم الثالث، نظراً لطبيعة تركيبها الاجتماعية وطريقة عيشها والأنظمة التي تسير طريقة حياتها، حيث مازالت تعيش على السليقة في نظام اجتماعي قبلي عشائري يسيره الإنتاج المشترك والاكتفاء الذاتي، وتقاسم الإنتاج سواء من الزراعة أو الصيد وهو ما يعتبر جديداً كل الجدة عن هؤلاء الرحالة والدارسين أو بالأحرى نظرة العلو والنزعة الايديولوجية المركزية التي كانت تميزهم ورؤيتهم للآخرين بأنهم أبعد ما يكون عن الحضارة.

وعليه نستطيع التأكيد بأن معظم الكتابات لم تكن من طرف أكاديميين مؤهلين علمياً بل متعددة من طرف رحالة رجال دين، سياسيين، عسكريين، وتطغى عليها الصبغة الكنسية

الدينية والتي من خلالها تم إرسال حملات تبشيرية على إثرها تم تشييد عدة مدارس وكنائس من خلالها درست الشعوب المغاربية بصفة عامة، والمجتمع الجزائري بصفة خاصة من حيث نمط العادات والتقاليد والعرف والقانون والوضع الاجتماعي بشكل شبه علمي.

2- تأخر اعتماد الانثربولوجيا كتخصص علمي في الجامعة الجزائرية:

من الملاحظات التي تستدعي الانتباه من خلال الإطلاع على التجربة الجزائرية في ميدان الدراسات الانثربولوجية على وجه الخصوص، أن هذا النوع من الدراسات يشكو من قلة المتخصصين فيه نظراً لحدائثة وقصر المدة الزمنية له، الدراسات الانثربولوجية ضمن الممارسة العلمية الأكاديمية داخل الجامعة الجزائر في إطار بحوث وأعمال أكاديمية منظمة، وكذلك على مستوى الدراسات والأبحاث وحتى التأليف الفردية المستقلة في المحيط الثقافي العام خارج الجامعة، إذا لم تزد المدة الزمنية التي صارت فيه الانثربولوجيا كتخصص علمي قائم بذاته يدرس في الجامعة الجزائرية عن ربع قرن.

المحاضرة العاشرة:

مناهج البحث الانثربولوجي: المنهج التاريخي، المنهج البنائي الوظيفي، المنهج المقارن.

تمهيد:

نظرا لأهمية المنهج الانثربولوجي ومدى اهتمامه بحياة الإنسان ككل، ويهتم الكثير من الباحثين بالتعرف على معلومات مرتبطة به لتطبيقه في دراستهم بهدف تطوير دراستهم فيه الأبحاث والدراسات.

1- مفهوم المنهج الانثربولوجي:

يعرف المنهج الانثربولوجي بشكل عام على أنه علم الإنسان وهو العلم الذي يسعى لدراسة مجرى التطور الإنساني من الناحيتين البيولوجية والثقافية والقوانين والمبادئ التي تحكم هذا التطور والارتباطات التي بين الجوانب الطبيعية المختلفة للإنسان وبين عادات الشعوب في الماضي والحاضر والأنماط التي تميز مجتمعات دون غيرها.

أما التعريف العلمي للمنهج الانثربولوجي فيعرف بأنه هو منهج شامل لدراسة الإنسان ولا يكتفي بدراسة ناحية واحدة أو مظهر واحد من مظاهر حياته المعقدة أو يقصر اهتمامه على دراسة تكوينه الفيزيقي فقط وإنما يحيط بكل خصائصه ومقوماته البيولوجية والاجتماعية والثقافية سواء في الماضي البعيد أو الماضي القريب أو الحاضر.

1/ مناهج البحث الانثربولوجي:

1-2- **المنهج الوصفي:** إن من أبرز المناهج المعتمدة في الدراسات الاجتماعية والانثربولوجية نجد المنهج الوصفي التحليلي وإذا تتبعنا نشأة المنهج الوصفي التحليلي فنجدته قديم قدم الأفكار العلمية، والحوادث المعرفية التي عرفها الإنسان عبر تاريخه الطويل، ولكن برز استخدام المنهج الوصفي التحليلي بصورة أكبر في الأبحاث والدراسات الاجتماعية والانثربولوجية في العصر الحديث، خاصة لما استخدم في ثلاثة أبحاث ودراسات أكاديمية

أساسية تمثلت الأولى في حركة المسح الاجتماعي في انكلترا، والثانية في فرنسا لما وصف فويدريك لوبلاي المنهج الموثوغرافي، والثالثة ارتباط المنهج الوصفي التحليلي بالدراسات الانثربولوجية في نشأتها في الو.م.أ.

2- المنهج التاريخي:

يمكننا القول أن المنهج التاريخي من المناهج الكيفية التي تتقاطع في الكثير من الموضوعات مع المنهج الانثربولوجي، لاسيما الفلكلوري عند الاشتغال على موضوعات الثقافة الشعبية، ومن أهم المزايا والمساعدات الأكاديمية التي يمكن أن يقدمها المنهج التاريخي للباحث الانثربولوجي في مجال أسماء الإعلام هو تزويده بالمعلومات حول علاقته بين الإنسان والثقافة والبيئة ودور هذه العلاقة في توليد وإطلاق بعض الأسماء على الموالي.

كما يعتمد المنهج التاريخي على الوثيقة التاريخية فيزودنا بالدليل المادي حول موضوعات التاريخ الثقافي للمجتمع سيما الوثائق والدراسات التي تشتمل على دلالات الأسماء وأبرز استخداماتها، ومدى انتشارها بين طبقة من طبقات المجتمع دون أخرى في مرحلة ماضية من حياة المجتمع ومناسبات إطلاقها، ومدى التغير الذي طرأ عليها نتيجة عوامل متعددة كالانتشار، الهجرة، الحروب...إلخ.

3- المنهج المقارن:

ينطبق المنهج المقارن على الانثربولوجيا بجميع فروعها ومجالاتها الدراسية، فأى بحث انثربولوجي ينطوي بالضرورة على مقارنات بين متغيرين أو أكثر، ويقصد بالمنهج المقارن في مجال الانثربولوجيا دراسة الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة من المجتمعات، ومقارنة النظم الاجتماعية من حيث استمرارها وتطورها والتغير الذي يطرأ عليها، أو حتى مقارنة مجتمعات بعضها ببعض، وتحدد مجالات المقارنة في الدراسة الانثربولوجية في النقاط التالية:

- دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الأنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي.
- دراسة نمو وتطور مختلف أنماط الشخصية والاتجاهات السيكولوجية والاجتماعية في مجتمعات مختلفة وثقافات متعددة.
- دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات (تنظيمات سياسية، بيروقراطية، صناعية مهنية... إلخ) أو كذلك دراسة النظم الاجتماعية المختلفة (الزواج، الأسرة، القرابة... إلخ) وذلك في مجتمعات مختلفة.
- تحليل ومقارنة مجتمعات بأكملها وخاصة من خلال النمط الرئيسي السائد للنظم الاجتماعية والثقافية.

4- المنهج البنائي الوظيفي:

رغم محاولة ابتعاد الاتجاه الوظيفي على تلك المقارنات التي حاولت أن تعزل النظم الاجتماعية عن سياقها (البنائي)، إلا أن المقارنة بقيت لها قيمتها في التحليل الوظيفي، فقد رأى بعض العلماء أن الاتجاه الوظيفي هدفه هو التوصل إلى تعميمات تتعلق بالصلات المتبادلة بين النظم في المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة، وتضيف المجتمعات من أجل إدراك نقاط التشابه بينها، لهذا حاول الاتجاه الوظيفي المزاجية بين التحليل الوظيفي والمقارنة في الدراسات الانثربولوجية من خلال محاولة تناول الظواهر الاجتماعية في سياقها الكلي، وكذلك التعرف على الأدوار والوظائف التي يؤديها كل نظام بالنسبة للبناء الاجتماعي الكلي.

المحاضرة الحادي عشر:

تقنيات البحث الميداني في الانثربولوجيا (الملاحظة بالمشاركة، المقابلة).

تمهيد:

بدأت الانثربولوجيا من بحوث ودراسات وصفية على جمع غير منظم للمعلومات عن ثقافات وعادات الشعوب، ثم توصلت في مرحلة لاحقة إلى اعتماد المقارنات والدراسات الانثوغرافية التي تميزت من الموضوعية عن المراحل السابقة، كالمناهج المستخدمة في الدراسات الانثربولوجية هي متعددة بتعدد الموضوعات التي تتناول الإنسان على سواء لعلاقته بغيره أو تفاعلاته الثقافية أو في سلوكه ومواقفه.

- منهجية البحث الميداني في الانثربولوجيا:

البحث في الانثربولوجيا ما هو إلا حالة خاصة من البحث في العلوم الاجتماعية فهو يخضع لنفس النموذج والذي يحتوي على:

1- مشروع البحث:

قبل الانطلاقة الفكرية لأي بحث انثربولوجي يحدد الباحث الأهداف الحقيقية التي تتبعها الدراسة سواء كانت أهداف علمية كاختيار نظرية، تجربة أساليب مستحدثة أو أهداف علمية العلاقات العرفية والتحضر يجب عليه تحديد الموضوع الذي يريد دراسته ويتجه فيما بعد إلى الميدان لاختيار الجماعة الأولى أو المجال الذي يقيم عليه الدراسة.

2- الملاحظة بالمشاركة:

تعريفها: المقصود بها كما يعرفها بعض الباحثين أن الباحث يلاحظ عينة بحثه بطريقة مباشرة مع أن يشارك أعضائها في عملهم، أي أن يكون الباحث الانثربولوجي عضواً في الجماعة التي يقوم بدراستها، وأن يتجاوب ويتفاعل معها، وأن يمر في نفس الظروف التي تمر بها، ويخضع لجميع المؤثرات التي تخضع لها، كأن يمارس بعض الطقوس الدينية، أو

الاجتماعية، أو يقوم ببعض الأعمال التي تعد من النشاط اليومي للجماعة، ويعتبر الانثربولوجيون هم أول من مارسوا الملاحظة بالمشاركة، من خلال عيشهم في وسط المجموعات البشرية بغية دراستها عن قرب، ولا زالت هذه التقنية مفضلة لديهم لأنها تكون أكثر قرباً من الواقع.

ويجب أن تتوفر في الملاحظة بالمشاركة الشروط التالية:

- يجب أن يتدرب تدريباً دقيقاً على أساليب التفكير العلمي، والتي يجعل منه باحثاً محايداً هدفه الوصول إلى الحقيقة العلمية واكتشاف القوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الاجتماعية.
 - يجب أن يكون دقيق الملاحظة، ويتحلى بالصبر وعدم التعجل في استنتاج النتائج.
 - عليه أن يتعلم أفرادها وفهم نظام العاطفة الممزوج بنظام التخاطب وبفكر يمثل ما يفكرون.
 - إذا لم تتمكن من إتقان اللغة لضيق الوقت، أو لقلة الإمكانيات عليه أن يتخذ وسيطاً أو مرشداً من أعضاء مجتمع الدراسة تتوفر فيه شروط الدقة والموضوعية والأمانة في نقل المعلومات والترجمة.
 - على الباحث أن يسجل المعلومات فور الحصول عليها حتى لا تتعرض للنسيان أو الخطأ.
 - على أن يستعين بكافة الوسائل التي تغنيه على الحصول على المعلومات الدقيقة في ذات الموضوع الذاتي يبحث فيه قبل آلات التصوير وآلات تسجيل الأصوات والخرائط الجغرافية والبيانية، والاستعادة من أحدث الوسائل العلمية في جمع البيانات وتصنيفها وجدولتها.
 - أن يخلو من الصياغة اللغوية الغامضة.
 - أن يستخدم الألفاظ المتداولة.
- 3- تقنية المقابلة:**

المقابلة في البحث الميداني هي حلقة تواصل بين الباحث والمبحوث حول موضوع معين، يكون الباحث فيها العامل المؤثر والمسؤول على إدارة الحوار لذلك يستوجب عليه أن يتمتع بمهارات مهنية معينة تمكنه من الحصول على المعلومات المطلوبة والصحيحة من المبحوث.

4- تقنية سيرة الحياة:

تتلخص في تدوين أهم الأحداث التي مرت في حياة أفراد المجتمع، بحيث يروي الأفراد ما حدث معهم خلال مسار حياتهم من الميلاد، وتستلزم هذه التقنية وجود ثقة كبيرة بين الباحث والإخباري السارد للأحداث مما يدعم مصداقية المعلومات المتحصل عليها.

5- الاختبارات النفسية:

وتعد هذه التقنية نادرة الاستخدام مقارنة مع الاختبارات النفسية التي أدخلها الأنثربولوجيون الثقافيون في بحوثهم، وتستخدم لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ولذلك نعرض تحديد العلاقة بين حضارة ذلك المجتمع والسمات والخصائص الشخصية لأفراده.